

الترجمة والتعريف

« تمت المجلة فانها من الشيطان »

منهج جديد في المنازرة

إلى حضرة العلامة « محقق » :

طالعت الحاشية في ذيل الصحفة الأولى من مقالتك « العرب وأخبارها في التاريخ » المدرجة في الجزء التاسع من هذه المجلة فإذا بك يا سيدى قد حملتَ على كتاب هذا العاجز الفعيف « تذكرة الكاتب » حملة القوى القادر محاولاً إيهام القراء، بأن الخطأ عاشر به ولاعب وآخر على تسعه عشراته وشارب . ولكن بالحقيقة لم يكن عليه أقل خوف من هذه المحاولة لأن قراء المجلة والله الحمد من نخبة العلماء المدققين فلا يصعب عليهم أن يفرقوا بين الفت والسمين . بل كان الخوف كل الخوف عليك أن يتمسك بالافتراضات عليه والتجمّس عنـواً لمؤلفه غضاً من قدر خدمته للعلم ثماني وأربعين سنة فقامـا ولا يخرجـا في التعليم والترجمة والتأليف . فبـاـدرـتـ إـلـىـ الـكتـابـةـ لـالـذـوـدـ عـنـ حـوضـيـ بل للـدـفاعـ عـنـكـ وـدـرـءـ خـطـرـ تـعرـضـكـ لـهـذـهـ التـهمـةـ . ولـكـ الحقـ ان تستغربـ هـذـاـ المـسـلـكـ الـذـيـ اـتـهـجـهـ إـلـىـ الـآنـ لـأـنـ يـخـالـفـ الـمـأـلـفـ فـيـ الـمـنـاظـرـاتـ إـذـ مـنـ عـادـةـ الـحـمـوـلـ عـلـيـهـ أـنـ يـتـصـدـىـ عـلـىـ الـأـقـلـ لـصـدـ حـمـلـةـ الـمـهـاجـمـ لـلـدـافـعـ عـنـهـ . ولـكـنيـ معـ استـغـارـكـ لهـ اـرـجـوـ أـنـ تـسـتصـوـ بـهـ فـقـرـةـ وـتـضـافـرـنـ عـلـىـ تـعـيمـهـ بـيـنـ زـجـالـ النـقـدـ وـمـاعـشـ الـمـباـحـثـينـ .

اما سبب احتقاري للدفاع عنك فلاني أمت إليك بصلة أدب هي عندي أعود من صلة النسب . فليس حملتك علي او على كتابي أقل تأثير في هذه الصلة المبنية . وبعین هذه الصلة أرى السبب الحقيقي الذي ساقك إلى صدم كتابي هذه الصدمة المنيفة التي عرضتكم لنهاية تعمد المضم والجنس وانت منها بريء براءة أسطع من ضياء الشمس . ولذلك وجب علي ان أسارع الى جلاء الحقيقة وإزالة الوهم فاقول : لك يا سيدى على اللغة العربية وأهلها غيره تغنى بها الركبان ، وفضل لم يختلف فيه اثنان . ولكن لديك من الشواغل الكثيرة ما يضيق به وقتك على رحبه وبتوبيعه عليها لا يصيب المحقق منها ساعة الا أقل من دقيقة . فاجتمع شدة ضيق الوقت

وفرض الغيرة على العمل — ايـ كان — يقـيـ عـلـيـكـ بـضـرـورـةـ اـنـجـازـهـ بـيـنـ مجلـةـ ثـفـوقـ حدـ الـوـصـفـ بلـ تـشـبـعـ عنـ طـوـقـ النـصـورـ .ـ وـ المـجـلـةـ كـاـ لـ يـجـنـيـ عـلـيـكـ مـزـجـةـ الـخـطـلـ وـمـدـرـجـةـ الـخـطـإـ وـالـزـلـلـ .ـ خـذـ مـثـلاـ هـذـهـ الـحـاشـيـةـ الـتـيـ هـيـ مـوـضـعـ كـلـامـاـ .ـ فـاـنـكـ طـالـمـ الـمـشـوـرـ فـيـ كـتـابـيـ عـنـ النـعـلـ عـرـبـ وـمـاـ يـشـقـ مـنـهـ ثـمـ رـاجـمـتـ كـتـبـ الـلـغـةـ عـمـومـاـ وـتـاجـ الـرـوـسـ وـكـشـفـ الـظـانـونـ خـصـوـصـاـ وـنـفـرـغـتـ بـعـدـ ذـلـكـ لـكـتـابـةـ صـفـحةـ كـاـلـمـةـ فـيـ الـجـلـةـ عـلـىـ هـذـاـ الـمـوـضـعـ .ـ فـهـذـهـ الـأـمـرـوـرـ كـاـلـهاـ لـاـ يـتـسـنـيـ لـغـيـرـكـ إـنـجـازـهـ بـعـدـ التـرـوـيـ وـإـنـعـامـ الـنـظـرـ فـيـ أـقـلـ مـنـ ثـلـاثـ سـاعـاتـ .ـ وـلـكـنـكـ لـلـجـلـةـ الـتـيـ أـكـرـهـكـ خـيـقـ الـوقـتـ عـلـىـ رـكـوبـهـاـ لـمـ نـفـضـ فـيـ هـذـاـ الـعـلـمـ سـوـىـ دـفـائـقـ قـلـائـلـ تـعـدـ عـلـىـ الـأـنـاءـلـ .ـ

بـهـذـهـ الـجـلـةـ طـالـمـ كـتـابـيـ وـلـشـدـةـ حـزـنـهـاـ لـكـ لـمـ تـهـلـكـ انـ تـكـلـ تـلـادـةـ الـمـكـتـوبـ فـيـ عـنـ هـذـهـ الـمـادـةـ .ـ فـاـنـصـرـتـ عـلـىـ قـرـاءـةـ نـصـفـ الـأـوـلـ وـأـثـبـتـهـ فـيـ الـحـاشـيـةـ مـشـفـوعـاـ بـقـوـلـكـ «ـاـهـ .ـ»ـ وـهـوـ لـاـ يـنـتـهـ بـعـدـ .ـ فـلـوـ أـكـلـتـ تـلـادـتـهـ لـوـجـدـنـيـ أـقـولـ :ـ «ـ فـبـالـتـرـيـبـ نـقـلـ مـثـلاـ الـكـيـاتـ الـأـتـيـةـ بـالـفـاظـهـاـ وـتـقـوـلـ :ـ سـيـنـاـتـوـغـرـافـ وـبـيـسـكـلـ وـأـوتـوـمـوبـيلـ وـغـيـرـهـاـ كـالـتـلـفـارـافـ وـالـبـنـكـ وـالـفـوـنـوـغـرـافـ وـالـتـلـفـونـ .ـ وـبـالـتـرـجـمـةـ نـعـبـرـ عـنـ مـعـنـيـ ثـلـاثـ الـكـيـاتـ الـأـوـلـ بـقـوـلـاـ :ـ صـورـ مـتـحـرـكـةـ وـدـرـاجـةـ وـسـيـارـةـ وـقـسـ عـلـيـهـ .ـ»ـ لـوـ تـدـبـرـ هـذـاـ النـصـ الـأـخـيـرـ بـعـينـ الـتـرـوـيـ وـالـتـبـصـرـ لـمـ رـأـيـتـ فـيـ أـقـلـ شـيـ يـخـالـفـ نـصـوصـ مـعـاجـمـ الـلـغـةـ عـلـىـ الـتـرـيـبـ كـاـسـيـأـتـيـ بـهـاـنـهـ وـلـكـفـيـتـ نـسـكـ عـنـاءـ الـمـراـجـعـ لـكـتـبـ الـلـغـةـ فـيـ اـيـرـادـ مـاـ يـؤـيدـ كـلـامـيـ كـلـ التـأـيـدـ وـلـمـ نـفـضـ بـاطـلـاـ وـقـنـتـ الـثـمـنـ وـانتـ فـيـ اـشـدـ اـحـتـيـاجـ الـىـ كـلـ ثـانـيـهـ مـنـهـ .ـ

وـلـكـ تـزـادـ ثـقـةـ الـقـارـيـ وـبـصـحةـ مـاـ جـاءـ فـيـ كـتـابـيـ عـنـ الـتـرـيـبـ أـنـقـلـ فـيـ مـاـ يـلـيـ بـعـضـ مـاـ وـرـدـ فـيـ مـعـاجـمـ الـلـغـةـ عـنـهـ .ـ قـالـ الجـوـهـرـيـ فـيـ صـحـاحـهـ :ـ «ـ وـتـرـيـبـ الـأـسـمـ الـأـعـجمـيـ اـنـ نـفـوهـ بـهـ الـعـرـبـ عـلـىـ مـنـاهـجـهـاـ .ـ نـقـولـ عـرـبـتـهـ الـعـرـبـ وـأـعـربـتـهـ اـيـضاـ .ـ»ـ وـهـذـاـ الـقـوـلـ نـقـسـهـ قـالـهـ اـبـنـ مـنـظـورـ فـيـ مـعـجمـهـ لـسانـ الـعـرـبـ .ـ وـقـالـ صـاحـبـ التـاجـ :ـ «ـ وـتـرـيـبـ الـأـسـمـ الـأـعـجمـيـ اـنـ يـنـفـوهـ بـهـ الـعـرـبـ عـلـىـ مـنـاهـجـهـاـ .ـ»ـ ثـمـ قـالـ بـعـدـ ذـلـكـ :ـ «ـ وـعـرـبـتـهـ الـعـرـبـ وـأـعـربـتـهـ اـذـاـ نـفـوهـ بـهـ الـعـرـبـ عـلـىـ مـنـاهـجـهـاـ .ـ وـلـيـسـ بـيـفـ قـوـلـمـ عـنـ الـتـرـجـمـةـ مـاـ يـخـالـفـ قـيـدـ شـعـرـةـ عـنـ كـلـامـيـ عـلـيـهـاـ فـيـ كـتـابـيـ .ـ وـقـدـ أـضـرـبـتـ عـنـ ذـكـرـهـ خـوفـ الـأـطـالـةـ .ـ فـلـيـزـبـدـ اـيـضاـحـاـ اـنـ يـرـاجـعـ الـكـلـامـ عـلـيـهـاـ وـعـلـىـ الـتـرـبـبـ فـيـ مـعـاجـمـ الـلـغـةـ وـفـيـ

كتاب «المغرب من الكلام الاجمعي» للجوهري و«شفاء الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل» لابن خفاجة و«أدب الكتاب» لابن قتيبة وغيرها.

بقي يا سيدى قوله عن الترجمة إنها معرفة عن الكلدانية في ذلك خلاف لا محل هنا لاستيفائه . ولكن هبني سلت إنها كذلك وانكرت جحج الذين يدعون اشتقاقها من الرجم بالحجارة او من الرجم بالغيب فهل ينقص ذلك شيئاً من قدر استعمالها وقد أثبتها علماء اللغة ووردت في دواوين الشعراء القدامى ؟ اولست من أدرى الباحثين بكثرة ما في لغتنا من الكلمات المعرفة من قديم الزمان عن لغات الأم المجاورة لنا ؟ إذن الترجمة كانت ولا تزال خير لفظة نستخدمها للتعبير عن نقل معنى الكلمة او الجملة او المقالة او الكتاب من احدى اللغات الاجنبية الى لغتنا العربية ولما بعد ذلك اذا شئنا ان نعمل النقل او الاستخراج او غيرهما من المترادات . واما الكلمة «تعريب» فاستعمالها في هذا المعنى مختلف لما وضعت له ولا يقتصر على تعريب الشيء بلا اقل مسوغ عن وضعه الا من يشاء اختروج على اللغة ولا سبيل الى رده .

وقصاري ما أتمناه بعد هذه انت ترد عليك مقالتي هذه في يوم نعيم اي حين يسمح لك وقت الضيق وأشغالك الكثيرة بالتفوغ بضم دقائق لطالعتها بروح الرفق والمرودة وعين التأمل والتدبر . فينفع لك اني لم اكتبه الا نذار كما يأني قد تعرض له من الاتهام بالتحامل علي . لاني واثق كل الثقة ببراءتك من هذه التهمة كونقدم الكلام وشعوري من نحوك مفعم بالإعجاب والاحترام وخاري من اقل اهتمام بوجوب العدل والملاكم . فأانت بما فعلته بنية صالحة معدور وسعيلك عندي حميد مشكور . واذا كان للوم سبيل فهو على العجلة لا غير . فهي المخصوصة لا انا ولا سجبي . ولو لا ما لاختذت يا سيدى الى نقد كتابي غير هذا الطريق وحررت اتهماج سبيل التروي والتدقيق شأن المتصف بصفة التحقيق . ولو لاها ما تسرعت وحكت باخطئا على تسعه اشعار ما في «نذكرة الكتاب» بل كنت على الاقل عكست الحكيم شخصت الخطأ بعشر ما في الكتاب وحكت تسعه اشعاره الباقيه بالصواب .

وفي الختام نفضل باحضررة السيد الجليل بقبول تحية واحترام المخلص الشاكر .

اسعد خليل داغر